صورة المجتمع النجفي
في شعر صالح الجعفري

م.د مرتضىٰ شناوة فاهم العرداوي

جامعة الكوفة / كلية التربية المختلطة

يتناول هذا البحث طبيعة المجتمع وموضوعاتها في شعر الجعفري والبواعث النفسية التي أسهمت في تشكيلها، ويعنىٰ باستجلاء صور طبيعة المجتمع عنده في مختلف قصائده التي دعا من خلالها الىٰ التطور ومواكبة العصر في مختلف نواحي الحياة، وحاولنا الكشف عن هذه الصور في مختلف المجالات السياسية والأدبية والاجتماعية ومدىٰ تأثيرها في الأوساط المجتمعية علىٰ الصعيدين المحلي والدولي.

Summary

This research deals with the nature of the society and its topics in Jaafari Poetry and its relation in Psychology aspects that contributed to it formation . He deals with all images of the nature of society in his various poems which aims through it to the development in all aspects of life. We tried to discover these images in the (political, literary and social) field and it effects on both the local and international levels of society.

المقدمة

الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ محمد وأل محمد الأوصياء المرضيين وعلىٰ أصحابه المنتجبين ومن أتبعهم بإحسان الىٰ يوم الدين .

وبعد ....

تحتل النجف الأشرف مركزاً دينيـًا، وعلميـًا مهمـًا في العالم؛ فهي مربض أمير المؤمنين (علية السلام) ومقر المرجعية العليا، وبلد الحضارات، وملتقىٰ الثقافات وهي بمثابة العلم الجم، ومعدن الخلق العظيم وموقع الرأي الأصيل، ومقر التراث المعبد، وكانت النجف الأشرف وما زالت النواة الأساسية التي ينبعث منها نور الثقافات المتنوعة، فقد أنجبت الكثير من العلماء والشعراء والكتّاب والمفكرين، فضلاً عن إنتاجها تراثـًا ضخمـًا من العطاء الإنساني النافع والثروة الفكرية المعطاء .

من هنا ومنذ دراستي الاولىٰ كانت رغبتي بدراسة شعراء هذهَ المدينة، فجاء اقتراح أستاذي وأستاذ الدراسات العليا، الأستاذ الدكتور سعيد عدنان المحنة بدراسة (صورة المجتمع النجفي في شعر صالح الجعفري) فكان اقتراحه منسجمـًا ورغبتي ليكون عنوانـًا لدراستي، ومنذ بدايتي الأولىٰ في قراءة ديوان الجعفري فقد زادني شوقـًا للمضي في دراسة هذا الموضوع .

وسلكت في هذا البحث سبيل المنهج الوصفي، وطفت أستقرئ ما في شعره منتقيـًا النصوص التي تنسجم مع مفاصل البحث .

وقد قام البحث علىٰ ثلاثة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد ثم خاتمة . فكان التمهيد منصّباً علىٰ التعريف بالشاعر من خلال دراسة حياته ونسبهِ ومكانته الأدبية . أما المبحث الأول فجاء بعنوان الأدب والمجتمع وكان بفقرتين الأولىٰ : علاقة الأدب بالمجتمع، والثانية : الأحوال الاجتماعية والثقافية للمجتمع النجفي في القرن العشرين .

وتناولت في المبحث الثاني الحياة الاجتماعية للمجتمع النجفي بصورها المختلفة وتكرس المبحث الثالث علىٰ دراسة الحياة السياسية والأدبية للمجتمع النجفي في عصر الشاعر .

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث المتواضع، ثم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها دراستي .

ومن الله التوافيق ..

التمهيد

لمحات من حياة الشاعر صالح الجعفري

حياته:

هو الأستاذ صالح بن الشيخ الكريم بن صالح بن مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر الكبير صاحب (كشف الغطاء) الكتاب الذي صار لقباً عرفت به الأسرة ذات المركز الديني والأدبي والوجاهة في النجف، وقد عرف المترجم له بهذا اللقب، إلاّ انه غيره الىٰ الجعفري نسبة الىٰ الشيخ جعفر نفسه [1] .

ولد صالح في النجف الأشرف سنة (١٣٢٦ هـ / ١٩٠٧ م) قد توفي والده وهو في الثامنة فتكفله خاله الشيخ أحمد مولىٰ، وشرع يتعلّم ويتقدم في الدراسة علىٰ النهج المألوف في المدينة الدينية الأدبية فدرس النحو والفقه والمنطق والبلاغة . وتلمذه في الشعر علىٰ الشيخ مهدي الحجار فبدأ النظم وهو في السادسة عشرة .

ثم وسَّع افقه بالمطالعات الحديثة مما كان يرد الىٰ النجف، وهو غير قليل من كتب ومجلاّت مصرية وسورية تزيد عن مدىٰ رؤية قارئها وتحرك فكرهِ، وكان في طليعة المجددين، ولم يقف عند الشعر وإنما زاول النثر وعرف به، وكان ينشر في المجلات النجفيّة، ومنها مجلة النجف، والصادق وغيرها.

وتمّيز الفتىٰ باستقامة أخلاقهِ وحسن سيرتهِ وشدّته في الحق وصلابتهِ في الرأي وجرأته في المعتقد، وهو في نثرهِ وشعرهِ يضيق بالقديم العتيق من التقاليد والأفكار لدرجة الثورة عليه والحماسة الىٰ الجديد في الدراسة والتعليم وفي

الإجتماع والسياسة بحيث أمتلك لبَه واستوعب اهتمامَه وهو يدعو الىٰ التعليم، وتعليم المرأة، وهو وطني قومي يؤلمه ما كانت عليه البلاد من تأخر وما كان عليه أغلب رجال السياسة من تدنٍ وما يعانيه العرب من فرقة وشغلت (فلسطين) مكاناً مهماً من اهتمامهِ وشعرهِ .

وهو مقابل ذلك يفخر بالمجد العربي الذي حفظه التاريخ ويرتاح لكل خير يُصيب الأمة ويمجد كل شخصية تؤدي خدمة للوطن والأمة .

لقد كان لولب حركة دائبة، وعلماً من أنصار الجديد ومناوأة أنصاره القديم، ورأىٰ أن لابد من مؤسسة تلم شتات الشباب وتقع من النجف موقعاً بارزاً في تقييّم الندوات وتحتفي بمن يرد الىٰ البلدة من رجال الفكر والأدب ولا سيما أولئك القادمون من مصر أو لبنان ... فكان أن تأسست سنة ١٩٣٢ (جمعية الرابطة العلمية الأدبية) وكان هو أمين سرّها وأبرز اعضائها العاملين [٢].

تزوج سنة ١٩٣٤، وعين مدرساً بثانوية النجف ٢٨/ ٥/ ١٩٣٥ ودخل في عهد الصمت الشعري لامه عليه أقرانه وعاتبوه، ولكنه كان يرىٰ الصمت أولىٰ وان له في ذلك ظروفه الخاصة، ولا يعني السكوت المطلق، لأنّه كان ينظم بين الحين والحين كُلّما سنحت له الفرصة خلال جهده المدرسي في التدريس وتوجيه الطلاب والادارة، ومن نتاجاتهِ الأدبية : شرح ديوان السيد حيدر الحلي وقد صدرَ له الجزء الاول، وتعريب رباعيات حسين قدسي وقد صدر عام ١٩٥٦، وفي هذا العام كفّ بصره فجأة وبعدها قدم عام ١٩٦٠ طلباً لإحالتهِ علىٰ التقاعد فلُبّي طلبه لوجاهة السبب، وانتقل بعدها الىٰ بغداد فأقام فيها، وشرع الشعر يعاوده واكتشف مجلس (الشعر باق) وكان ندوة أدبية يتصدّرها الحاج حسين الشعر باف، ويديرها

السيد محمود الحبوبي فكان يأنس بالزيارة ويفيد ويستفيد وينشر بين حين وحين ما يجد له من شعر في مجلة الإيمان أو البلاغ أو الرابطة.

وتوفي ببغداد ٢١/ أب/ ١٩٧٩م. وقد أقامت له جمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف حفلاً اربعينياً رثته واستعادت اعماله وأفكاره ومكانتَه الفكرية والقومية والأدبية.

شعره ومكانته الأدبية :

يُذكر انّه بدأ الشعر وهو في السادسة عشر وقد كتب في اغلب الأغراض الشعرية المعروفة[٣]. والجعفري أديب فحل قلّ من رزق مواهبه من أخدانه فقد واجه مجتمعه وهو مسلح بمجموعة من القوىٰ الاعتبارية وشفعها بالعلم والأدب فهو من أسرة ملكت ناصية العلم زهاء قرنين من الزمن وتحكمت في تاريخ الأدب النجفي فاحتلت اكثر من صفحاتهِ، وتصدرت المجالس فكان لا يستكثر عليها ذلك، وحكمت شؤون الناس في الدنيا والدين، وهذا السلاح له مفعوله يومذاك، وما أن جاء العصر الحديث بسلاحه الجديد إلاّ والجعفري أول الحاملين له والمجاوبين لميوله والمندفعين وراء أرائهِ، والمبشرين من الكثير من الحقائقِ التي تعتز بها ولكنه في دور التوديع لعهد أبائهِ كان يواجه كثيراً من القوىٰ المتبقية، فهو يدافع عن أرائهِ بكل قوه وجرأة، فهو حين يدعو الىٰ السفر في بلد ديني كالنجف وفي زمن كان القارئ للجريدة يرمي بالزندقة كان لا يخشىٰ أن يطعن كما لم يعب حين طعن، وينقد الحاكمين والظالمين وأذ ناب الاستعمار، فكان يتمتع بمكانة أدبية واضحة[٤].

المبحث الأول

الأدب والمجتمع

أولاً : علاقة الأدب بالمجتمع:

إنّ علاقة الشعر بالحياة علاقة وثيقة وموضوع الشعر منه أعرق الموضوعات اتصالاً بنفس الأمة التي تثمره ومن أعلق الأمور بخصائص حياتها، وتفاصيلها، ودقائقها(٥)، لان الشعر فن يصور الحياة بمختلف عواطفها وحوادثها وانفعالاتها(٦)، فهو يكاد يدخل في كل شأن من شؤون الحياة العربية(٧).

فموضوع الأدب عامة والشعر خاصة هو الأنسان والإنسان بطبعه كائن اجتماعي، لا يستطيع الانعزال عما حوله فلا بد له أنْ يتفاعل مها باستمرار، مما يخلق لديه جملة من العلاقات المتنوعة التي يحاول التنسيق فيما بينها ليأمن لنفسه نوعـًا من التوائم والاستقرار، والشاعر بما أوتي من رهافة الحس وكثافة الشعور فهو أكثر الناس تفاعلاً مع مجتمعه، ومهما حاول الابتعاد عنه شعر بالغربة تجاهه، فإنه لا يستطيع أنْ يبعد فكره ووجدانه وخياله وأحاسيسه المتوقدة، ومن هنا كانت عملية التلاؤم والانسجام معه اكثر تعقيداً واغنىٰ، بل اكثر صعوبة فلا يجد لها مخرجـًا إلاّ من خلال عالمه الإبداعي، وهذا يعني إن العالم الشعري ليس خاصـًا بالشاعر وحده بل هو تجسيد للعلاقات الاجتماعية في تقاطعاتها وتشابكاتها، ولكن وفق رؤيته الخاصة وتطلعاته نحو الانسجام والاستقرار(٨).

فالشاعر يكون اكثر انسجامـًا مع المجتمع من أي انسان اخر «ولا شك أنّ الأديب يعبر بشكل أو بآخر عن الأوضاع والاتجاهات والقيم الاجتماعية فأدب الأديب يشير الىٰ المجتمع الذي نشأ منه، بل يشير الىٰ الفئة الاجتماعية التي ينتسب

إليها وما شاع فيها من تقاليد اجتماعية ومن معايير اخلاقة ....»[٩] فالشاعر أنسان يتفاعل مع المجتمع ويستجيب لمؤثراته لذلك اعتبر النقاد والأدباء بأن الشعر « روح العصر ونتاج المجتمع «[١٠]

والأساس الاجتماعي يربط بين العمل الفني وظروف الحياة القائمة، ومن خلال هذا تتحد القيمة[١١].

فالشعر هو « روح المجتمع الذي تنفح فيه الحياة«[١٢] ومما تقدم يمكن القول بأن العلاقة بين الشاعر والمجتمع هي علاقة وطيدة، لأنّه يستمد صوره من مجتمعه وبيئته والواقع الذي يعيش فيه من العادات والتقاليد .

فالمناسبات الاجتماعية تضفي طابعـًا وجدانيـًا علىٰ إحساس الشاعر مما تجعله يرغب في إبراز هذا الإحساس بأقصىٰ ما يمكن من البيان والتأكيد[١٣].

والمتفحص في شعر الجعفري يجد أنّ الشاعر شديد الارتباط بالمجتمع، فلم يترك مناسبة إلاّ وسجّل فيها شيئـًا من شعره، وينفذ من خلالها للدعوة الىٰ الإصلاح والوصول إلىٰ درجة الرقي والتحضّر، فكثرة المناسبات وسيلة لإلقاء القصائد الرائعة، وجعلوا منها منابر للإنشاء وقد برز الشعراء المبدعون بما يحقق في مجالسهم المتعة والتسلية التي ينشدونها، تلك الحوافز كونت العامل الاجتماعي في الشعر النجفي[١٤].

لذلك يقول بونالد «الأدب تعبير عن المجتمع»[١٥]وتناول معظم الأغراض الاجتماعية منها المراسلات بينهُ وبين أصدقائه، وفي رثاء بعض الأساتذة، وفي التهنئة التي تخص الولادات، وزواج بعض الأصدقاء والأقارب وغيرها من المناسبات الاخرىٰ .

ثانيـًا/ الأحوال الاجتماعية والثقافية للمجتمع النجفي في القرن العشرين:

لما كان الوسط الاجتماعي يؤثر تأثيراً كبيراً في حياة الشعراء وتنعكس حالاته وتغيراته الفكرية والسياسية سلبـًا او إيجابـًا في نتاجاتهم، كان حريٌّ بنا ونحن بصدد دراسة شاعر نجفي أن نسلط الضوء علىٰ هذهِ المدينة التي ولد فيها وترعرع في أحضانها، ونتعرف علىٰ الموروث الثقافي والحضاري لهذه المدينة وبواعث الفكر والمعرفة التي لا بد للشاعر من أن يتأثر بها فتنعكس في نتاجاته .

لقد بدأ العراق ينهض فكريـًا مع مطلع القرن العشرين، إذ وعىٰ شعبه واطلع علىٰ النهضة الأدبية والعلمية التي سبقته اليها بعض البلدان العربية، فقد شهدت مدينة النجف الأشرف مع بداية القرن العشرين تغيرات اجتماعية كبيرة متأتية ايضـًا مع التغيرات التي طرأت علىٰ المنطقة كنمو الحركة القومية العربية وقيام الحركات الدستورية في كل من الدول العثمانية وإيران، إذ كانت الصحف التي أخذت بالورود الىٰ النجف بنقل هذهِ الأحداث والتغيرات فأطلع النجفيوّن علىٰ مجريات هذهِ الأحداث المحيطة بهم(١٦).

لقد كانت طبقة العلماء والأدباء في النجف هي الطبقة العليا والمتنفذة آنذاك وكانت هذهِ الطبقة تتقدم علىٰ كافة الطبقات حتىٰ التجار والأثرياء، إذ كانت أسس التقييم الطبقي في النجف تقوم علىٰ عاملي الثقافة والفكر، اذ لا توضع طبقة الأثرياء من التجار إلا في الصفوف الخلفية من التقييم بعد أن يتقدم عليه العلماء والأدباء والشعراء(١٧)، مما يدل دلالة صريحة علىٰ مكانة العلم والعلماء في النجف .

لقد اجتمعت عدة عوامل لتجعل من النجف بيئة ثقافية ودينية، أهمها وأولاها وجود مرقد الإمام علي بن أبي طالب (علية السلام) وتوافد الزوار عليه

بمختلف ألسنتهم وثقافتهم، وكذلك انتقال الشيخ الطوسي إليها وتأسيسه الحوزة العلمية فيها هذهِ المؤسسة العلمية الكبيرة التي تمتد جذورها إلىٰ تاريخ طويل وتمتلك إرثـًا معرفيـًا كبيراً، وعلاوة علىٰ المجالس النجفية التي أضافت للمدينة جوّاً علميـًا وأدبيـًا إذ كان للأسر النجفية نوادٍ ومجالس يتطارح روّادها الشعر وقضاياه والعلم ومسائله المختلفة من التجديد الفقهي والأصولي الكلامي[١٨] .

لقد كانت المجالس الأدبية والشعرية من أكثر المجالس العلمية عدداً فلا تكاد تخلو اسرة في النجف إلا وكان لها منتدىٰ أدبي، اذ كانت هذهِ المجالس محك الملكات والمواهب وكانت العامل الأقوىٰ في بلورة الوعي الفكري والثقافي لدىٰ أبناء هذهِ المدينة[١٩]. وجرت العادة في أن تعقد هذهِ المجالس في يوم الخميس والجمعة من كل أسبوع وفي المناسبات كالأعراس والوفيات وكذلك كانت هذهِ المجالس تعقد في المناسبات الدينية فضلاً عن المناسبات الأخرىٰ، ولم يكن علماء الدين في النجف بمنأىٰ عن هذهِ المجالس فقد أخذ الاهتمام بالأدب والشعر مأخذه من بعضهم، ويظهر هذا الاهتمام جليـًا في الكثير من إبداعاتهم ونتاجاتهم[٢٠].

لقد كان لهذهِ المجالس فائدة مهمة أخرىٰ غير فائدة رفد الثقافة والفكر، هي تقوية الأواصر الاجتماعية بين أبناء النجف وترسيخ علاقات المودة والتآخي بينهم فظلاً عن تعلم الأطفال والناشئين الدين والأدب والشعر، وينبغي القول أنَّ الأسرَ النجفية كانت قد اعتادت علىٰ تعليم أبنائها القراءة والكتابة في المنازل ومضت أخرىٰ إلىٰ ارسال أبنائها الىٰ المساجد للتعلم علىٰ ايدي الكتاتيب[٢١]. أما المرأة فقد كانت مقيدة في حياتها بأحكام الشريعة الإسلامية والأعراف الاجتماعية، اذ كانت الأسر تحرص علىٰ تعليم مبادئ الإسلام لبناتها في البيوت، ويكون من أفراد الأسرة الأخرين فتتعلم الفتاة القراءة والكتابة والقران ...[٢٢] .

اما المدارس الرسيمة، فلا توجد مدرسة رسمية في النجف قبل سنة ١٩١٨ م، اذ تأسست فيها أول مدرسة ابتدائية في هذهِ السنة وسميت ب(المدرسة الاميرية الاولىٰ) واستبدلت تسميتها فيما بعد ب(الغفاري)[٢٣]. وربما كان لسيادة العادات الاجتماعية وتحكم الاعراف العشائرية أثر في هذه التخلف ويبدو أنّ مردها هو قوة عروبة النجف لقربها من الصحراء وقد اقتضت سياسة الدولة العثمانية في العراق أن تبقىٰ القبائل علىٰ تخلفها وجهلها، فضلاً عن ذلك أن النجفيين كانوا يعدون المدارس مفسدة للدين والأخلاق[٢٤] .

وبعد ذلك أخذ تأسيس المدارس الواحدة تلو الأخرىٰ ولم يقتصر علىٰ المدارس الابتدائية وانما الثانوية والاعدادية ففي سنة ١٩٤٢ تأسست ثانوية النجف التي اطلق عليها (اعدادية النجف)، ولقد انبثق في هذهِ المدارس نشرات استقطبت بعض الأقلام المبدعة والمواهب الفتيّة، إذ برز فيها الكثير من الإبداعات الأدبية والشعرية والثقافية وكانت هذهِ المدارس تتبارىٰ فيما بينها من اجل إصدار نشرة غنية بموادها الأدبية والعلمية، وقد تم طبع هذهِ النشرات علىٰ نحوٍ واسع وأخذت تصدر باستمرار مثل (أقلام الطلبة)، التي كانت تصدر من المدرسة الثانوية وكان يشرف عليها صالح الجعفري مدرس الأدب العربي في الثانوية[٢٥] وفي غضون ذلك بدأ تنامي التحوّل في قناعة النجفيين بضرورة تعليم البنات وتزامنت معها ظهور دعوات بعض الشعراء في النجف لفتح مدارس رسمية للبنات .

وفضلاً عن المجالس الأدبية والمدارس فإنه يمكن أن تعد المكتبات العامة رافداً مهمـًا من روافد الحركة الثقافية في النجف، فقد تأسست المكتبة العلوية ثم توالت المكتبات في النجف، اما الصحف والمجلات التي كانت تصدر في النجف فربما كانت تمثل المؤثر الأهم والأقوىٰ في بيان مدىٰ اهتمام النجفيين بالثقافة

والأدب وهذهِ الصحف كثيره منها صحيفة (الهاتف) التي عُنيت بدراسة الأدب والشعر ودراسة الحياة السياسية والاجتماعية في النجف الاشرف وفي العراق عموماً[٢٦].وكل هذهِ الأمور التي ذكرناها هي الركيزة الأساسية والفكرية لثقافة المجتمع النجفي الاجتماعية والفكرية، وقد تركت أثراً واضحاً في نفسية الشاعر صالح الجعفري.

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية

المرأة النجفية:

علىٰ الرغم من امتلاك المرأة النجفية جلّ التقدير والاحترام، إلا أنَّ المجتمع بصفاته الدينية والعشائرية جعلها تقبع في بيتها وتلبي كل متطلبات الزوج اليومية، وبقيت جزءاً من بيتها، لا تختلط بغير اهلها إلاّ في المناسبات الدينية والمأتم الحسينية أو حفلات الأعراس التي تقيمها نساء المحلة، وإذا رغبت في الخروج ورأت رجلاً من بعيد فإنها تتنحىٰ في زاوية من الطريق حتىٰ يبعد عنها، علىٰ الرغم من إنها حرصت كل الحرص علىٰ ارتداء ما يستر بدنها لأنها ترىٰ فيه عنواناً لسلامة دينها وأخلاقها(٢٧).

ونتيجة لذلك فقد برزت مجموعة دعوات للمطالبة بتخليص المرأة من مجموعة من الآفات (الأمية، الجهل، المرض) ومن أبرزها دعوة محمدرضا الشبيبي بعدم اضطهاد المرأة لأن «الاضطهاد يؤدي الىٰ عكس المقصود منهُ»(٢٨).

وكذلك الجعفري كان من الشعراء المجددين، وما إن ظهر العصر الحديث بمفاهيمه الجديدة، حتىٰ برز الجعفري أول الحاملين لراياته، والمندفعين بتياره والمبشرين بالكثير من حقائقه بالرغم من المقاومة العنيفة التي واجهها من أعمدة أسرته في التصدي لتلك الافكار، وكان يصمد أمامها صموداً اسطورياً، يدلل علىٰ أرائهِ بكل قوة، فقد استطاع أن يقف في وسط ديني محافظ كالنجف عام ١٩٣٠،

ويطالب في قصيدة له بتعليم المرأة وحرية مساواتها بالرجل، وفسح المجال أمامها في بناء الأجيال[٢٩] فيقول :

هذَّبــوها فأنهــا بَشــــرُ لكــمال الــحيــاة تــفتقرُ
النَّــوامــيسُ بينــم شَــرَعُ هــي أنثــىٰ وأخــرُ ذكَــرُ
ألكــي تستحــيــلَ حامضــة فــي زوايــــا البيــوت تُدّخُرُ
كيـف يُعطي ثمــاره شجــرٌ في الحصىٰ والتراب منقبرُ[٣٠]

ويقول ايضـًا:

كيــفَ تَرجو نَجــاحَها فئةٌ كللتهــا البُــرودُ والسُجُفُ
من وراء الحجاب نِسوتُها تتهــادىٰ كأنَّهــا تُــحــفُ
كُلمَّــا أبصــرتْ علىٰ كثبٍ شبحــًا للجديــد ترتَجفُ
تتحــرىٰ إستقــلالَ أمَّتِهــا أخْســأوا إنّ ذلِكُــم صَلَفُ
كم حَصــانٍ تــروح سافــرة بالحيا والعفاف تلتحفُ[٣١]

نلاحظ شجاعة الموقف واضحة علىٰ النصين وعلىٰ شخصية الشاعر، وهو يدعو الىٰ حرية المرأة وعدم تقيّدها بالضوابط المجتمعية، والتي تتجسد بطابع العصبية، ولعلَّ الشاعر ينطلق من مفهوم ينبذ التعصب المجتمعي وفرض القيود علىٰ حرية المرأة من حيث التعليم ومشاركتها الرجل في العمل وابداع الراي فهو يرىٰ انّ رقي المجتمع رهين بإعطاء الحريات لكل الفئات والأجناس البشرية في مزاولة أعمالهم وابداء أراءهم، ولهذا نادىٰ الجعفري بهذا التوجه الفكري بنظرة إنسانية شامله . ثم يقول :

انظرُوا المرأة التـــي سلفت كيــف أعلىٰ مقاماتها الأُوَلُ

فهـي تأتي (عكاظ) نابغــةً وهي في الحرب فارسٌ بطلُ

وهــي في بيتهـــا لأشبُلهـــا مرأةُ، وهي في اللقا رجلُ[٣٢]

من هذهِ الابيات جعل الشاعر تعليلاً لرؤيتهِ ودعواه لمنزلة المرأة وانصافها في المجتمع، فهو يقارن بين المرأة في الزمن الماضي والمرأة النجفية في زمنهِ، إذ كانت المرأة تشارك الرجل في الحرب وتنشد الشعر، فالشاعر مارس دور ثقافي بروح التحدي والانفتاح علىٰ العالم ؛لأن «المجتمع النجفي في المدة التي عاش فيها الشاعر في مقتبل عمرهِ، يعيش في حالة من الركود والتوقع_ كان من سمات تلك الحقبة، انكماش المجتمع وابتعاد عن مسايرة العالم الخارجي..»[٣٣].

الأزياء :

لقد احتلت مدينة النجف الأشرف مكانة سامية بين المدن العربية والإسلامية المهمة لذا أصبحت النجف مركزاً لاستقطاب الناس من مختلف المدن سواء كانت عراقية أم من مناطق عديدة اسلامية وأجنبية وهذا بالتأكيد يعكس طبيعة الأزياء التي يرتديها الوافدين الىٰ المدينة، إلا أنَّ أهالي مدينة النجف يتميزون بالأزياء المصنوعة في المدينة، فملابس رجال الدين علىٰ سبيل المثال اختص بزي واحد تقريبـًا فكان لباسهم العمامة والجبة والعباءة فضلاً عن انّ بعضهم من ألزم نفسه باحترام زي عائلته الذي فطن عليه، بالرغم من اختلاف مركزه الاجتماعي[٣٤]، والمجتمع النجفي متفاوت في هذا الجانب، ومن ذلك قول الشاعر مؤرخـًا عام لبس فيه أولاده العلاّمة الشيخ علي كاشف الغطاء العمائم فيقول: (السريع)

إن يفخـــر النـاس بتيجانهم يَزينهـــا المسجـــدُ والعاجُ

ففي الغـــد الـــزاهي بأبنائنا أّرّخته : (سيفخر التاجُ)[٣٥]

والغالب علىٰ المجتمع النجفي آنذاك الطابع الحوزوي الذي يتميز بارتداء العمامة أو الكشيدة وهذا ما نلاحظه في قول الشاعر في القصيدة التي ألقيت في ثانوية النجف أثناء زيارة احد الوفود الثقافية العربية بتاريخ ١٦/ ٢/ ١٩٤٣ فيقول: (مجزوء الكامل)

حُييِّت يا وفد الثقافـــة والحضارة والكرامَة

حـــييت موفـــور التجلَّةَ بالترحل والإقامَة

هذي القـــلوب تسابقت كلَّ يناولك احترامه

حيـــاتها انتظمت كتاج فوق رأسك أو عمامة

رسل الثقافـــة يـــزد هي بقدومكم بلد الإمامة

ويظهر أن الشاعر يُشير الىٰ خصوصية المجتمع النجفي في استقبال الضيوف ولاسيما طبقة العلماء الذين يمثلون الإمامة بروحيتهم وزيّهم الإسلامي، وهم يستقبلون الضيوف بكل رحابةٍ واحترام، وهي في الوقت نفسه دعوة من الشاعر للإنفتاح علىٰ العالم وإقامةالعلاقات التي من شأنها تزيد من توطيد الثقافة الفكرية في هذه المدينة . أما النساء فَكنَّ يلبسن العباء الصوفية، أما الوجه فيغطىٰ بالحجاب[٣٦]. وهذا ما صوره الشاعر في قولهِ:

كيف ترجو نجاحَهـــــا فئـــةٌ كللتها البـــــرود السجـــف

علـــىٰ العكس مومِس خطرت وعليهـــا الدثـــار والقطـــف

ويبدو التذمرواضحاٌ علىٰ الشاعر من خلال هذه العادات والتقاليد التي

فرضت علىٰ المرأة بطابع التعصب الديني والقبلي في ذلك الوقت، وصوّر زي المرأة النجفية وما عانتهُ في تلك الحقبة من ارتداء الحجاب والعباءة، وقد أجرىٰ ذلك علىٰ لسان الطير ليستدل علىٰ الحرية فيقول:

واستوىٰ يخطُب الزهور ويشدو بريــق الالحـــان والأطـــوار
قـــال: داءُ الحجـــاب داء قـال حـرّمتـــه شرائـــع الأطيـــار
أي فـرق بين الخلائـــق حـــتّىٰ بـأن هـــذا، وذلك في إضمـــار
شِرَعْ نحـــن في الحيـــاة سواءٌ والمساوة شيمـة الأحـــرار[٣٧]

في هذه الأبيات دعوة صريحة لمنح المرأة حريتها ودعوة الشاعر دعوة انسانية تهدف الىٰ التقدم والازدهار وعدم الإنطواء علىٰ النفس بسبب العصبية الممنهجة .

طبيعة المناسبات والعلاقات في المجتمع النجفي:

لم يلتزم الشاعر بتصويره المناسبات الدينية فقط التي كانت تقام في النجف أنداك وانما تفاعل مع الكثير من المناسبات والعلاقات التي تجسد واقع المجتمع النجفي، لأنَّ الأدب لا يحدث إلاّ في سياق اجتماعي[٣٨].

ومن هذهِ المناسبات قوله في الاحتفال الذي اقيم في جمعية الرابطة العلمية في النجف الأشرف في ١٠/ ٤/ ١٩٤٠ بمناسبة توديع سعادة قائمقام النجف السيد حسن الجواد وقد حضر في هذا الاحتفال الكثير من الشباب والمثقفين في النجف الأشرف فيقول : (مجزوء الكامل)

عادت لميـدان الكفـــاحِ غرّاء مشرقـــة النواحـــي
عـــادت ومِكُ إهابهـــا عزمٌ يبشـــــر بالنجـاحِ

ملقىٰ العقول ومجمع الـــ لأراء والأدب الصَّـــــراحِ
مهـوىٰ القلوب وملتقىٰ الـ لارواح من نبت البطاحِ[٣٩]

ومن المناسبات التي أقامها المجتمع النجفي هي اقامة الحفلات التأبينية للعلماء والأدباء والكتّاب ومنها الحفل التأبيني الذي أقيم علىٰ روح المرحوم محمد علي اليعقوبي من أشهر خطباء المنبر الحسيني، عميد الرابطة الأدبية في النجف[٤٠] فيقول: (الكامل)

أودىٰ(أبو موسىٰ الهمام) فلا شعـــرٌ نخـــرٌ له ولا يخسرُ
وأبو العضات البالغـات فمن زيــد إذا ما قـــال أو عمـرُو
أودىٰ ابن يعقـــوب فأعينـنا مُبيضّـــةٌ ودموعنـــا حُمْـلاُ
يبقىٰ مصـابك ما بقىٰ العمـرُ لا عام يمحوه ولا دهـر [٤١]

ويعد ادب المناسبات لونـًا من ألوان الأدب النجفي خاصة حيث يوجد فيه لونـًا يختلف عن باقي الشعر، لأنهُ يكون أصدق في التعبير عن الخواطر وأعذب في السبك[٤٢].

وصوّر الشاعر في رثائهِ العلامة الكبير الشيخ جواد البلاغي*، وحزن أبناء النجف الأشرف بفقدهم هذا العالم الكبير الذي كان يمثل الوجه المشرق للمدينة لمواقفهِ في محاججة أرباب الديانات غير المسلمة، وغيرها من المواقف الإنسانية والعلمية التي قام بها أنذاك.[٤٣]

فيقول : (البسيط)

عجبت والدهر مملوء الرَّدا عجبـًا إنّ الهدىٰ سرّة في التـــراب ينكتـــمُ
يا مبدأ الفضـــل ثِقْ ان الفضـائل في ما حبّرتْـــه يـــداك اليـــوم تختتـــمُ

بالأمس كنت لدين المصطفىٰ أملاً ... واليوم أن لدين المصطفـــىٰ ألمُ

يا أمة فُقدت في فقد واحـــــدها ... وقد تموت بموت الـواحد الأممُ

جسد الشاعر في هذهِ الأبيات معاني اجتماعية، وينبع هذا الإحساس من النظر الىٰ المرثي بوصفهِ ممثلاً لهذهِ الأمة ورمزها، فقد ربط حياتها بحياة ممثلها .

وقد تميزت بيئة النجف الأدبية بأنها تقوم علىٰ أساس المشاركة الفاعلة في مواسم الأفراح، الأعراس، القدوم الىٰ الحج، الاخوانيات وموسم الأحزان، محافل التأبين فيغلب عليها طابع (أدب المناسبات وهو المناخ العام السائد في النجف الأشرف(٤٤).

ومن ذلك قوله في الحفلة الأربعينية الكبرىٰ التي أقيمت للفقيه الشاعر الشيخ محمد جواد الشبيبي فيقول : (الطويل)

أقول الركب شيّعـوك الـىٰ الحمىٰ ... يودّعهـــم قصـر ويلقاهـم قبـــر

تباعـد عنـه - يعلـم الله - لا قِلىً ... ولا عن جفا منـه ولكنـه الـدهـــرُ

قفوا نستمع من شاعر الخلد مقطع الـ ... قصيدة مختـــومًا بإنشاهـــا العـمرُ

دعوا واصـف الأحيـاء ينـطِقّ فربما ... يَعينّ لـه في بعـض مـا حلولـه فكرُ

سلوه عـن الأُخرىٰ وعـن نُظُم البلِىٰ ... وهل في البِلىٰ كوخ وهل في البلىٰ قصر

دفنّـاك والفصحـــىٰ والا فمـا لنـا ... فلا ثـــروة في عالـــم الحـقّ، لا فقرُ

بكتك عيون الشعـر شيـخ صناعـــة ... وخِرّيت عصر لا يجـود به عصرُ(٤٥)

فالشاعر صوّر فقد النجف لهذا العالم والشاعر الكبير، والشاعر النجفي يجد في أمثال هذهِ المناسبات مجالاً خصبًا للتعبير عن عواطفه والافصاح عن مشاعر الحب والاحترام لذي العلاقة(٤٦).

ويبدو أن البيئة الاجتماعية أثرت تأثيرا كبيراً في نفسهِ، لأنها «الوسط الطبيعي والوسط الاجتماعي حيث يحيا الأديب»[٤٧].

والمجتمع النجفي بحكم طبيعتهِ ومركزيته لديه الكثير من العلاقات الداخلية والخارجية فهو لم يقتصر علىٰ العلاقات الضيّقة وإنما امتدت علاقاتهِ الىٰ دول أخرىٰ، ومن ذلك قول الشاعر في قصيدتهِ التي حملت العنوان (وهل يغلب الموت) التي «نظمت في رثاء سيف الإسلام نجل امام اليمن المتوفىٰ غريقاً يوم ١٦ مايس ١٩٣٣م وبعثت مع مكتوب (رسالة) .... الىٰ والدهِ تعزية له»[٤٨].

فيقول : (المتقارب)

أسيف الهـدىٰ عـزّ والله أنْ يُفلَّ غرارَك سيـفُ الأجـلْ
ويا بدر ديـن الهدىٰ المستنير أَفَلْتَ فخطبـك فيـنا جـللْ
كأن الجـزيرة في عِظْمِـها فـؤاد بنـار المصاب أشتعل
نُعيتُ بصنعـاء فاغـرورقت بوادي الغريّ عليك المُقَلْ[٤٩]

ينطوي هذا المقطع علىٰ مشاركة المجتمع النجفي علىٰ المواساة بالفقيد، فالشاعر لم يقدم موقفاً عابراً أو قضية عرضية، بل شعراً نلمح في حال من التوجع، والجعفري لم يترك الأحداث الاجتماعية التي عاصرها من دون أن يتطرق لها، لأن الشاعر عضو في المجتمع ونتاجه يحاكي الحياة[٥٠]. فهو يصور ما يدور في المجتمع ويجسده في شعره .

الإحتفالات الدينية :

لكل أمم الدنيا وشعوبها مناسبات تحتفل بها وقد تشرك بعض الأمم في عيد

أو اكثر بدافع التقليد، أو بدافع الدين أو الخضوع السياسي، ومع ان تاريخ الاعياد موغل في القدم فإن العامل الديني أسهم في تطريز فكرة الأعياد عند الأمم سواء كانت تلك الأمم تدين برسالات السماء أم العبارات المختلفة الأخرىٰ[٥١] .

وللاحتفالات الدينية في النجف الأشرف نصيب وافر من الاهتمام والعناية وهي كثيرة ومتنوعة منها، شهر رمضان فقد حضي شهر الصوم وطقوسه العبادية ولاجتماعية بسهم وافر من ديوان الشعر النجفي وغطىٰ مساحة كبيرة منه وللبيئة في ذلك أثرها، فقد اختصت النجف دون سائر بلاد الله بطقوس رمضانية علىٰ الصعيدين العام والخاص، إذ تحتفل شرائحها الاجتماعية، كلّ علىٰ طريقتها، وكل بحسب تطلعاتها، ولعل من قَدّر له أن يشهد هذا الشهر في النجف ويراقب طقوسه عن كثب، يلمس بوضوح هذا التفرد المحبب علىٰ الرغم مما يطفو علىٰ سطحه من تباين، وما يتخلله من مفارقات، اذ يتجرد بعضهم للصلاة، ويقتضي أخرون في مجالس السمر... الخ .

في حين يأخذ فريق ثالث طريقه الىٰ مجالس اللهو وغيرها من العادات الاجتماعية[٥٢] ومما اعتاده الناس في النجف أقامة موائد الإفطار، ودعوة الصائمين إليها تقربـًا الىٰ الله وطلبـًا لثوابهِ، والغاية المتوخاة من الحث علىٰ ذلك، تقوية الأواصر الاجتماعية من جهة، ومواساة الفقراء، وإعانتهم من جهة أخرىٰ، غير ان بعضاً من (الموسرين) لم يدركوا ذلك، أو تغافلوا عنه، فقد اعتادوا أن يدعوا في قصورهم موائد تحفل بكل ما لذ وطاب من طعام وشراب، يتفننون في تنويعه وسياق بعضهم بعضـًا في تجويده واغناء مائدتهِ التي لا يدعىٰ إليها إلاّ الوجهاء والموسورون – وفيهم من لم يلامس قلبه الإيمان، ويعرف الخير طريقة إليه، أما

الفقراء والمغمورون من عباد الله، فلا ينالهم من تكلم الموائد إلاّ القليل القليل، والغريب أن يجري كل هذا تحت ستار من طلب الثواب، وأن يقام علىٰ اسم الله[٥٣].

والشاعر صالح الجعفري كعادتهِ بجرأتهِ علىٰ مختلف الأصعدة قد التفت إلىٰ هذهِ الظاهرة وانتقدها في رباعية مؤثرة ويقول فيها :

تلـف موائـد وتـص أخـرىٰ — علىٰ اسم الله في الشهـر الصيـام
وضاف القـصر بالعـظماء حتىٰ — تشجأ واستغـاث مـن الـزحام
بحثت عن اليتيـم فلـم أجـده — وهـل يدعـىٰ لمائـدة اللئام
نعـم شاهدتـه والكلـب وجهـًا — لوجه.. واقفين علىٰ العظام[٥٤]

نستشف من هذا النص ان الشاعر يرفض هذه الازدواجية التي يتصف بها بعض المجتمع، فالبعض يقول ما لايفعل، فالشاعر أراد أن يعالج قضية انسانية الهدف منها إنصاف الفقراء والغاء الطبقية في المجتمع.

وقد يتمادىٰ بعض هؤلاء في قسوته وإسرافه فلا يوجد طرفه بنظرو رفق حتىٰ جاره القريب المعدم أو يذكره بمعروف في هذا الشهر وفي ذلك يقول :

تهلـل وجـه عبـد الله لشهـراً — لشهـر الصـوم والأكـل الكثير
فجهـز بيتـه مـن كـل لـون — وأسـرف بالبقـول وبـالبـذور
فقلـتُ لجـاره الأدنـىٰ ومما — تـؤلف أنـت مائـدة الفطـور
فقـال مـن الـذي فَطـرتْ عليـه — جيـاع الشعب ... من خبز الشعير

ومن هذهِ الاحتفالات الدينية التي يحتفل بها المجتمع النجفي هي أيام الحج وعودة الحجاج، فيقوم الناس بتوديع الحجاج أو التهنئة أثناء عودتهم، اذ يقوم

الحجاج بفتح بيوتهم لاستقبال الناس، وليس بدعاً أن يلتقي الشاعر النجفي في التعبير عن عواطف المجتمع(٥٥). كما ان للعرف الاجتماعي دوره، حيث يرىٰ المجتمع النجفي إنّ مثل هذهِ الاحتفالات تعمل علىٰ تقوية الأواصر المجتمعية والشاعر النجفي أيضاً «يجد في مثل هذهِ المناسبات مجالاً خصباً للتعبير عن عواطفهِ والإفصاح عن مشاعر الحب والاحترام..»(٥٦).

وسجل الكثير من الشعراء أشعارهم في هذهِ المناسبات في التهنئة تارة وأخرىٰ في التوثيق التاريخي لها . أما الشاعر صالح الجعفري فقد كان واقعياً في انتقاد الحاج الذي لم يلتزم بمعايير الحج والذي يأخذ من الحج مظهر تقليدي، ومن ذلك قوله في سيرة زعيم العراقي كرس أيام حكمه لاضطهاد شعبه وقد ذهب الىٰ بيت الله وعاد منه ليستأنف سياسته من جديد فقال الجعفري:

رأيتك عند بيت الله تسعىٰ فقلت لعله استحيا وتابا
وما أن عدت حتىٰ عدت ذئباً أسنّ مخالباً وأحدّ نابا
صعدت إلىٰ السماء ولست تدري بأن لكل شيطان شهبا

وفي قصيدة أخرىٰ يقف الجعفري بجرأته المعهودة مشيراً الىٰ نمط من الحجاج ممن يظن انهم لبوا نداء الله بحجهم، في وقت باعوا فيه وطنهم، مقارناً بين حج هؤلاء ونضال الشعب الهندي من اجل استقلاله وسيادة بلده :

قم في منىٰ واهتف بمزدحم القبائل والوفود
الغائبين الحاضرين بقلب شيطان مريد
لبيتهم للات لا الله .... للعرش المجيد
بعتم لدار الاعتماد قصور جنات الخلود

حجوا : فلستـــم بالغين بحجـكم شرف الـــهنود

حجوا الىٰ استقلالهم وحججتم خوف الوعيـــــد

فالشاعر يريد أن يقول لهؤلاء أنكم لم تخلصوا الحج لله عزَّ وجل بل كانت قلوبكم قلوب شياطين لا قلوب مؤمنين ويصف حجهم بالمراءات، ويقارن بين خنوعهم للإنكليز وقصدهم للمعتمد السامي البريطاني، علىٰ العكس من الهنود الذين حجوا الىٰ استقلالهم .

المبحث الثالث

الحياة السياسية والأدبية

أولاً : الحياة السياسية:

واكبت مدينة النجف الأشرف مسيرة تاريخ العراق السياسي الحديث، عايشت خضم تحولاته في ظل تقلب العثمانيين والإيرانيين علىٰ حكم العراق، وصراعاتهم العسكرية والسياسية للاستحواذ عليه طوال ما يقارب اربعة قرون، وكان قرب النجف من الحالة السياسية، وتفاعل هذهِ الحالة معها أمر استدعته قدسيتها ومكانتها السامية في نفوس المسلمين كافة، فكان للنجف منذ مطلع العصر الحديث، حضور في المشهد السياسي، ونصيب من حوادثه(٥٧).

والشعراء لا يمكن لهم أن يبتعدوا عن تصوير الحياة السياسية في المجتمع لأنّها متواشجة معهم، ولأنّ الشعر «يؤثر فيهم ويهز خواطرهم و يوقظ مشاعرهم، ويعينهم علىٰ فهم الحياة ويوجههم الىٰ أرفع المثل وأنبل الغايات»(٥٨).

وكان للنجف مواقف من التطورات السياسية والخارجية الرافضة للاحتلال سواء ذلك عثمانيـًا كان ام بريطانيـًا، والمجتمع النجفي كان له وعي سياسي يرفض كل الأمور السياسية التي لا تنسجم مع طبيعتهِ، مثلاً موقفه الرافض للمعاهدة البريطانية العراقية، ففي عام ١٩٣٠ كانت شوارع النجف ومحلاتها مسرحـًا للمحاضرات والاحتجاجات ضد المعاهدة التي عقدت في هذا العام(٥٩).

وقد نظم الشاعر في هذا العام قصيدته (ما السجن عار علىٰ الابطال) علىٰ أثر مقاطعته الحزب الوطني للانتخابات البرلمانية المتكونة علىٰ أساس مصادقة هذهِ

المعاهدة فيقول: (البسيط)

لسنـا نُقيـم علـىٰ ذُلٍ يُـراد بنـا ... بل نطلب العزَّ أنّىٰ كـان، فارتقبوا
ما قيمـةُ العـهد مكذوبًا ومختلفًا ... العهـدُ ما خلقتـهُ البيضُ واليَلَبُ
إنا سئمنـا وعـودَ القـوم عاريةً ... عـن الحقيقـة محشوّاً بها الكَذِبُ
جـاءوا بمهزلـةٍ في إثـر مهـزلةٍ ... فكلّمـا جَدّ جِدّ الشعـب هُـم لعِبوا
تربّعوا فوق دَسْتِ الحكـم لا رفعوا ... ظُلامةً وحَبـال الظـلم قد نصبوا
لا تُغْضِبـوا الشعب حَطّاً من كرامتهِ ... فالليث يضرىٰ إذا ما اهتاجه الغضبُ
خلّوا الحكومة للشعب الحقيـق بها ... فَمـا لكم نسبٌ فيها ولا حسبُ[٦٠]

وكذلك يلوم الشاعر أبناء الشعب الذين لايملكون سوىٰ الزعيق والغضب، في الوقت الذي أكل الصدأ سيوفهم وهي مغمدة، حين يقول :

فيم الزعـاق وفيـم الويل والحرب؟ ... والحـق أضيع أو تستلـه القضب
قد يعمل السيف بالأوضاع منفـرداً ... ما ليس يعمل فيها الجحفل اللجب

ثم يتحول الىٰ البرلمان الذي صادق علىٰ معاهدة ١٩٣٠ مؤكداً عدم شرعيته لأن الشعب حينئذ كان معارضـًا للإنتخابات غير الديمقراطية ومقاطعـًا لها لأنها لاتمثل إرادة الأغلبية فيقول :

ما الانتخابات بمشروع اذا اتفقت ... كل البـلاد علىٰ ان ليس تنتخبُ
أبرلمـان وهـذا الشعـب قاطعه ... إلا القليل وكم حفّت بهـم ريبُ
ما مثّل المجلس المعقـود امتـهُ ... وإنّمـا عقـدوه وفـق ما رغبـوا
خدعتم الشعب بالأشباح ماثـلة ... جـوفاء تسترها أثوابها القشـبُ
كـأنَّ لنـدنَ مغناطيس مجـلسنا ... فحيثمـا جـذبته تُلك ينجـذبُ
منهـا القـرار ومنّـا انْ ننفـذه ... والأمرُمنها ومنها الطوع والأدبُ

وكذلك صوّر دور المجتمع العراقي بصورة عامه والنجفي بصورة خاصة في الثورة العراقية الكبرىٰ، ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ هذهِ الثورة «التي اسهمت في إسقاط النظام الملكي في العراق واعلان النظام الجمهوري»[٦١]. فيقول: (السريع)

مــن مُبلــغ أحــرارِنا أنَّهــم فازوا من الأجر بأوفىٰ نصيبْ
لبُّوا نداء الشعَّب مستخـرصـًا في حينَ لا من سامع أو مجيبْ
كـانوا مع الصبح علىٰ موعــدٍ لمحــوِ ليل الظالمين الرهيبْ
فكلن عنــد الفجــر أرِّخ لهم نصـر من الله وفتحٌ قريب[٦٢]

نلاحظ أنّ الشاعر يمجّد قيم البطولة والتضحية للأحرار ودورهم في بناء المستقبل، والشاعر قد أجاد في الوصف متخذاً من فنون البيان جسراً رابطاٌ بينهُ وبين المتلقي ففي البيت الثالث جعل من الصبح انسان عاقل يسمع ويجيب عبر الاستعارة المكنية إذ حذف المشبه به وجعل دليلاً عليه وهو (الموعد) .

وكما أشرنا سابقـًا ان النجفيين لن تقتصر مواقفهم علىٰ الأمور الداخلية للبلاد وإنما امتدت مواقفهم الوطنية الىٰ المجتمع العربي ودول الجوار، مثلا في عام ١٩٢٦م قام النجفيون بتأسيس نادي اجتماعي سياسي سمي نادي الاصلاح في النجف، كما كانت لهم مواقف في هذا العام منها جمع التبرعات لإغاثة المتضررين في الثورة السورية الكبرىٰ، ودعمهم لحركة المقاومة العربية في فلسطين بعد تصاعدها في أب عام ١٩٢٩ م وكان للشعراء دورٌ بارزٌ في ابراز الحس القومي للمدينة، منهم الشاعر صالح الجعفري[٦٣] قال:

فلسطيــن هــي أم الــرزايا وهي اليــوم ساحــة حـربية
شبّ بركانها في القدس ولكن عمّ كل الجزيرة العربيــة[٦٤]

فالشاعر يصور دور النجف الوطني العروبي العابر للحدود الضيقة للبلاد، وتجسيد الحماس في روح المجتمع المختلفة وتأكيد مصير الإخوة العربية ومشاركتهم همومهم المختلفة .

ثانيا : الحياة الأدبية :

نشأت في النجف العديد من الجمعيات الأدبية والثقافية، وهي عنوان النجف بحق، اذ لا تخلو أسرة علمية في هذهِ المدينة الجادة من ان يكون لها منتدىٰ أدبي أو مجلس علمي لهذا الفرع من الأسر أو ذاك يلتقي فيه الأعلام من علماء النجف وشعرائهم وأدبائهم ووافديهم يتجاذبون اطراف الحديث في مسائل علوم القرآن والفقه والأدب(٦٥).

ولذلك كانت النجف تزدحم بالنوادي العلمية والأدبية فكل له محفله يؤمه اصدقاؤه ومعارفه من هواة الادب، حتىٰ إنك لا تمر بدار من دورها، أو بيت من بيوتها ولا محفل من محافلها، الا وتسمع صوت المذاكرة بالمسألة العلمية علىٰ انواعها وترىٰ حلقات الحديث وثيقة العرىٰ متماسكة الاطراف، ومجالس الأدباء يدور فيها الحديث عن الأدب وفنونه قديمـًا وحديثـًا من الشعر ومقالة ومساجلات أدبية ومطارحات شعرية بمختلف أنواعها يحضرها جمع من العلماء والأدباء وغيرهم وهي من اكثر المجالس عدداً في النجف(٦٦).

فالجمعيات والمؤسسات والنوادي وان اختلفت في المسالك وتباينت في المناهيج إلا انها لا تسعىٰ إلا لخدمة الإنسان، لذلك أنجبت مجالسها الشخصيات البارزة والأفكار النيّرة التي استطاعت تأسيس الجمعيات والنوادي الثقافية التي كانت لها اثراً بارزا في حقول الحياة العامة(٦٧).

ومن هذهِ الجمعيات التي ذكرها صالح الجعفري كثيراً في شعرهِ هي (جمعية الرابطة الأدبية) التي أسست عام ١٩٣٢، وأسهمت مساهمة فاعلة في بعث الحركة الادبية في النجف الأشرف، وكان من أبرز أهدافها نشر الأدب العربي وتمنيتهِ عن طريق عقد الأمسيات الأدبية والشعرية، وعملت علىٰ ان تكون واسطة اتصال بين أدباء الأمة العربية وعلمائها وبين أبناء مدينة النجف ورجالها دينها[٦٨].

أشار الشاعر الىٰ (مهرجان الأدب الحي) الذي كانت تعقدهُ جمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف وهو يرثىٰ الشيخ محمد علي اليعقوبي، عميد الرابطة الأدبية في النجف فيقول : (الطويل)

تلفتُ نحــو (المهـرجان) فلم أجد ... أنيسـًا ولا مـن سامريه سوىٰ الذكرىٰ
كأن لم تكـــن أعضاء جسم موحّدٍ ... وكـان أبو موسىٰ لنا القلب والصدرا
ومن مبلغ تلـك الليالـــي التي خلت ... بأنّا جـــــرعنا بعـــدها العلقم المّرا
فمـــــا انتظـمت تلك الفرائد بعدها ... سموط تزين العقل لا الصدر والنحرا
تــودّ السما لـــــو تقتـــدي بنظامها ... فتــعتقد للأقمار (رابطة) أخرىٰ[٦٩]

لقد أشار الشاعر الىٰ منزلة المرثي ودوره الفاعل في تلك الرابطة التي تقيم المهرجانات بشكل دوري في النجف الأشرف، وكذلك يصرح في البيت الثالث بأن الحياة النجفية هي حياة أدبية يسودها اللقاءات الأدبية والمهرجانات المرة تلوَّ الأخرىٰ، اذ كانت هذهِ الرابطة بمثابة المحرك الفاعل لإقامة المناسبات التي تعمل علىٰ توطيد العلاقات النجفية . ويقول : (مجزوء الكامل)

ملقَىٰ العقول ومجمع الـ ... للآراء والأدب الصُّــراحِ
مهـوىٰ القلـــوب وملتقىٰ ... الأرواح مــن ذبت البطاح

طُبعَــتْ علىٰ الحق اليقين فأعــرضت عن كلّ لاحي
والحــق أضعــف ناصراً مــا لــم يُؤيَّدْ بالجمــاحِ
شــاهدتُها تمحــو الضَّلا لةَ فعْــــلَ أنــوار الصّباحِ
وشعــارها عنــد اختلاف الرأي حيَّ علىٰ الفلاح(٧٠)

وقال الشاعر أيضـاً في قصيدته (تحية العلم والأدب) التي القيت في جمعية الرابطة تكريمـاً للوفد العاملي الذي وصل النجف سنة ١٩٣٩ والمؤلف من الشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا والشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان(٧١).

وفي هذهِ القصيدة جعل الرابطة بموازاة عكاظ اذ يقول :

لمــنْ نوادٍ يخفــق القلــبُ لها؟ وباســم من تُنشَدُ هذه الخطبْ؟
وهــل أرىٰ سوق (عكاظٍ) قائمـاً؟ هل رجــع (المربَدُ) بعدما ذهبْ؟
لِمَنْ وجــوهٌ كالصَّباح أشرقت فــأسفــر النُوّار بعــدما احْتجبْ
لــولا الــوقار والجــلال سائد لحّلق النادي بهم من الطّرب(٧٢)

نلاحظ ان الشاعر يتساءل عن هذه النوادي لغرض وغاية عقلية أراد عن طريقها أن يجسد قيمة هذه النوادي ودورها الفاعل في ترسيخ قيم ومفاهيم الثقافة الأدبية في مدينة النجف الاشرف، اذ جعلها بموازاة المربد وسوق عكاظ في اثارة القرائح واحداث ثورة ثقافية مميزة .

الخاتمة

وبعد استكمال هذهِ الرحلة الممتعة مع هذا البحث المتواضع يمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها علىٰ النحو الاتي :

١_ كان الجعفري شاعراً مجدداً لا يؤمن بالأطر التقليدية الكلاسيكية للمجتمع، فقد دعا الىٰ التطور و مواكبة العصر في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية التي من شأنها الارتقاء الىٰ المستوىٰ الثقافي والفكري، لاسيما في دعوته الىٰ حرية المرأة واعطائها حقوقها التي سلبت بسبب تقاليد المجتمع .

٢_ تميز الجعفري بشجاعته وجرأته بانتقاد المواقف والقضايا التي لا تنسجم مع التطور الحاصل علىٰ مختلف الأصعدة.

٣_ صوّر الجعفري المجتمع النجفي بتركيبته المتنوعة الدينية والمدنية، فأكد دور الأسر العلمية في النجف الأشرف في الحياة الاجتماعية في المدينة من خلال المجالس الأدبية والدينية التي رعتها هذهِ الأسر مما أسهم في اتساق المجتمع النجفي بنسق اجتماعي مميز.

٤_ صوّر الشاعر العلاقات الاجتماعية المختلفة علىٰ مستوىٰ الداخل والخارج من خلال تمسكهِ بإدامة العلاقات وعلىٰ مختلف الأصعدة .

٥_ للبيئة النجفية أثر خاص علىٰ جوهرية الأحتفالات الدينية، فكانت لها طقوس خاصة تختلف عن باقي المجتمعات الأخرىٰ كالاحتفال بشهر رمضان وموسم الحج وغيرها

٦_ برّزَ الشاعر دور الجمعيات والمؤسسات العلمية والأدبية في رفد الحركة

الفكرية التي أسهمت في أغناء المجتمع النجفي بالكثير من أمور الثقافة والمعطيات الحضارية الأخرىٰ التي عرفها العالم .

٧_ تميّز المجتمع النجفي بوعيهِ السياسي، وكانت له مواقف كثيرة داخلياً وخارجياً برفض جميع وجوه الاحتلال المختلفة .

* هوامش البحث *

(١) ينظر: شعراء الغري ، علي خاقاني : ٢٩٦- ٢٩٧.

(٢) ترجمة محقق الديوان : ١١/ ١٣.

(٣) ترجمة محقق الديوان: ١٤.

(٤) ينظر: شعراء الغري، علي الخاقاني: ٤/ ٣٠٦.

(٥) ينظر: تاريخ الشعر العربي حتىٰ اخر القرن الثالث هجري، نجيب محمد البهبيتي، : ٣

(٦) ينظر: اتجاه الشعر الإسلامي في العصر العباسي، عبد الهر بن ابراهيم الجيهمان، (رسالة ماجستير) :٣

(٧) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة :٨

(٨) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د. ابتسام احمد حمدان :٩٣

(٩) سكيلوجية الإبداع في الفن والأدب، يوسف ميخائيل أسعد :١٨٥

(١٠) النقد الأدبي، أحمد أمين: ٢٤.

(١١) ينظر: الأسس الجمالية في النقد الادبي، د. عز الدين اسماعيل: ٨٨.

(١٢) سيولوجية الأدب (دراسة الواقعة الأدبية علىٰ ضوء علم الاجتماع)، د. قصي حسين: ١٩.

(١٣) ينظر: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبد القادر القط، :٤٤٠

(١٤) ينظر: حركة الشعر العربي في النجف الأشرف واطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري (دراسة نقدية)، د. عبد الصاحب الموسوي: ١١٦- ١١٧.

(١٥) مدخل الىٰ مناهج النقد الادبي، مجموعة من الكتاب، ترجمة د. رضوان ظاظا: ٦٧٠.

(١٦) ينظر: تاريخ النجف السياسي، د. عبد الستار شنين الجانبي :٢٢

(١٧) ينظر: النجف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، محمد علي كمال الدين : ٦٢_٦٣

(١٨) ينظر: حركة الشعر في النجف الأشرف واطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري، دراسة نقدية، د. عبد الصاحب الموسوي:١٧٧

(١٩) ينظر: الحياة الفكرية في النجف الأشرف، د. محمد باقر احمد البهادلي . ٨٩_٩٠

(٢٠) المصدر نفسه: ٩٢- ٩٥.

(٢١) ينظر: التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير: جميل موسىٰ النجار: ٧٢

(٢٢) ينظر: الحياة الفكرية في النجف الأشرف د. محمد باقر احمد البهادلي :١٠٨

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د.علي الوردي، ٣/ ٢٦٢

(٢٥) ينظر: الحياة الفكرية في النجف الأشرف، د. محمد باقر أحمد البهادلي :١٠٩_١١٠

(٢٦) المصدر نفسه : ١١٦_١١٨

(٢٧) ينظر: النجف عادتها وتقاليدها، طالب علي الشرقي :١٦٧

(٢٨) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د. علي الوردي :٢٩٠

(٢٩) صالح الجعفري شاعراً، د. زهير غازي زاهد، مجلة الكتاب، العدد الأول، ١٩٧٥: ٣٥_٤٠

(٣٠) الديوان :١٩٣

(٣١) المصدر نفسه :١٩٣

(٣٢) الديوان : ١٩٤

(٣٣) رباعيات بابا طاهر، صالح الجعفري، (مقدمة المحقق: رياض صالح الجعفري) : ٨١

(٣٤) ينظر: النجف عاداتها وتقاليدها، طالب علي الشرقي : ١٥٠

(٣٥) الديوان : ١٠٧

(٣٦) ينظر: النجف عاداتها وتقاليدها: طالب علي الشرقي: ٢٧.

(٣٧) الديوان: ١٦٧.

(٣٨) ينظر: نظرية الأدب، رنيه ولك، أوستن وارن، ترجمة: د. عادل سلامة: ١٣٤- ١٣٥.

(٣٩) الديوان: ١١٩.

(٤٠) ينظر: الديوان (ترجمة المحقق) :١٤٣

(٤١) المصدر نفسه: ١٤٤.

(٤٢) ينظر: شعراء الغري، علي الخاقاني :١/ ١١٦

* جواد بن الحسين بن طالب البلاغي النجفي ينتهي نسبهُ اللا ربيعة، فقيه مجاهد وشاعر كبير له من المؤلوفات ما يربو علىٰ الخمسة والعشرين مؤلفاته منها، الهدىٰ الىٰ دين المصطفىٰ، تفسير القرأن، نصائح الهدىٰ، التوحيد والتثليث وغيرها، توفي في النجف سنة (١٣٥٢ هـ) ينظر: شعراء الغري، علي الخاقاني ٢/ ٤٣٦ .

(٤٣) ينظر: الاستاذ البلاغي والاعتدال، د. محمد حسين علي الصغير، مجلة الاعتدال، السنة الأولىٰ، ١٩٣٣: (المقدمة)

(٤٤) ينظر: شعراء الغري، علي الخاقاني :١/ ١٦

(٤٥) الديوان: ١٤٦.

(٤٦) ينظر: في الأدب النجفي مواقف ورجال، عبد الرضا القاموسي :٦٣

(٤٧) في الأسلوب الأدبي، د. علي بو ملحم: ٥٦.

(٤٨) الديوان (ترجمة المحقق: ٢٦٨).

(٤٩) الديوان: ٢٦٨.

(٥٠) ينظر: نظرية الأدب : رينة ويلك :١٣١

(٥١) ينظر: النجف عادتها وتقاليدها، طالب الشرقي :٧٢_٧٣

(٥٢) ينظر: في الأدب النجفي قضايا ورجال، محمد رضا القاموسي، ٧

(٥٣) ينظر: المصدر نفسه، ٣.

(٥٤) الديوان: ٤٢٥.

(٥٥) ينظر: في الأدب قضايا ورجال، محمد رضا القاموسي:٤٩-٥٢

(٥٦) المصدر نفسه: ٦٢.

(٥٧) ينظر: موسوعة تاريخ النجف الاشرف، د . جميل موسىٰ النجار : ١٥

(٥٨) التفسير الاعلامي للأدب، د . عبد المنعم خفاجي، ٦

(٥٩) ينظر: موسوعة النجف الأشرف، جعفر الدجيلي : ٤/ ٣٢٨_ ٣٣٠

(٦٠) الديوان:

(٦١) موجز تاريخ العراق الحديث، حليم أحمد :١١٣

(٦٢) الديوان: ٧٧.

(٦٣) ينظر: تاريخ النجف السياسي (١٩٢١_١٩٤٢)، عبد الستار شنين (رسالة ماجستير) كلية الأداب، جامعة الكوفة، ١٥٣:١٩٩٧

(٦٤) الديوان:

(٦٥) ينظر: مواقف قومية في الأدب النجفي، مهدي جواد البستاني (بحث)، مجلة كلية الفقة، ع٣، ١٩٨٩ م

(٦٦) ينظر : ماضي النجف وحاضرها، عبد الهادي الفضلي :١٠١

(٦٧) ينظر: ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة : ١/ ٣٣٦

(٦٨) المصدر نفسه : ١٠١_١٠٦

(٦٩) الديوان : ١٥٦

(٧٠) الديوان : ١٢٠

(٧١) المصدر نفسه (ترجمة محقق الديوان :٦٩)

(٧٢) الديوان :٧٠.

* المصـادر *

(١) تاريخ الشعر العربي حتىٰ أخر القرن الثالث الهجري، نجيب محمد البهبهيتي، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٧ هـ_ ١٩٦٧ م.

(٢) اتجاه الشعر الاسلامي في العصر العباسي الأول، عبد الهر بن ابراهيم الجهيمان (رسالة ماجستير)، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٧٣_١٩٧٤

(٣) الشعر والشعراء، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ)، ط٣ دار احياء العلوم، بيروت _ لبنان، ١٤٠٧ هـ_١٩٨٧ م .

(٤) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، مطبعة : دار القلم العربي، د.ت .

(٥) سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب، يوسف ميخائيل أسعد

(٦) النقد الأدبي، أحمد أمين، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت _لبنان، ١٣٨٧هـ_ ١٩٦٧م

(٧) الأسس الجمالية في النقد العربي، د. اسماعيل عز الدين، ط٣، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد _ العراق، ١٩٨٦ م

(٨) سيلوجيه الأدب (دراسة الواقعة الأدبية علىٰ ضوء علم الاجتماع) د. قصي الحسين

(٩) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبد القادر القط، دار النهضة العربية

للطباعة والنشر، بيروت _ لبنان، ١٩٧٨ م
(١٠) حركة الشعر في النجف الأشرف واطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري (دراسة نقدية)، د. عبد الصاحب الموسوي، ط١، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨
(١١) مدخل الىٰ مناهج النقد الأدبي، مجموعة من الكتّاب، ترجمة د. رضوان ظاظا، المجلس الثقافي للفنون، الكويت ١٩٩٧
(١٢) تاريخ النجف السياسي، د. عبد الستار شنين (رسالة ماجستير) كلية الآداب جامعة الكوفة،١٩٩٧م
(١٣) النجف في ربع قرن منذ ١٩٠٨، محمد علي كمال الدين، تحقيق كامل سلمان الجبوري، ط١، دار القارئ للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م
(١٤) الحياة الفكرية في النجف الأشرف، د. محمد باقر أحمد البهادلي، ط١، ٢٠٠٤م
(١٥) التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير، جميل موسىٰ النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١م
(١٦) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. علي الوردي، ط١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩م
(١٧) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د. علي الوردي، بغداد، ١٩٠٣م
(١٨) النجف عاداتها وتقاليدها، طالب علي الشرقي، مطبعة الأدب، النجف ١٩٧٨م
(١٩) ديوان صالح الجعفري، جمع وتحقيق د. علي جواد طاهر وثائر حسن جاسم، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٨٥م
(٢٠) رباعيات بابا طاهر، صالح الجعفري، تقديم رياض صالح الجعفري
(٢١) نظرية الأدب، رنية ولك، أوستن وأرن، ترجمة د. عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض_ السعودية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م
(٢٢) شعراء الغري، علي الخاقاني، مطبعة بهمن، قم _ ايران، ١٤٠٨هـ
(٢٣) في الأدب النجفي قضايا ورجال، محمد رضا القاموسي، ط١، دار المثنىٰ للطباعة والنشر، بغداد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م
(٢٤) في الأسلوب الأدبي، د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، ط٢، ١٩٩٥ م
(٢٥) التفسير الاعلامي للأدب، د. محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، ط١، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٨٠ م

(٢٦) موسوعة تاريخ النجف الأشرف السياسي الحديث والمعاصر، ١٩٥٨، د. جميل موسىٰ النجار، مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر ٢٠١٢ م
(٢٧) موسوعة النجف الأشرف، جعفر الدجيلي، ط١، دار الأضواء، النجف الأشرف ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م
(٢٨) موجز تاريخ العراق الحديث (١٩٢٠_١٩٥٨)، حليم احمد، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨ م
(٢٩) دليل النجف الأشرف، عبد الهادي الفضلي، مطبعة النجف، ١٩٦٠ م
(٣٠) ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة، ط٢، دار الأضواء، بيروت _ لبنان، ١٤٠٦/١٩٨٦م

المجلات:

١_ مجلة كلية الفقه _ جامعة الكوفة _ العراق
٢_ مجلة الكتاب _ النجف الأشرف، العراق.